هدي النبي ﷺ

في بيان منزلة الشهادة والشهداء

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

أبن شهوان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

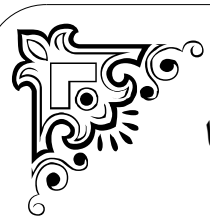

الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا

فَقَدِ امْتَحَنَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ وَالرُّكُوعِ فَاسْتَجَابُوا طَائِعِينَ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَفْعِ الْمَالِ فَاسْتَجَابُوا طَائِعِينَ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ فَلَبَّوْا -كَذَلِكَ- طَائِعِينَ.

ثُمَّ جَاءَ الِامْتِحَانُ الْأَكْبَرُ وَالِاخْتِبَارُ الْأَعْظَمُ، فَكَانَ أَنْ طَلَبَ مِنْهُمْ أَرْوَاحَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ يَبْذُلُونَهَا فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ فَتَقَدَّمَ أَقْوَامٌ وَتَأَخَّرَ آخَرُونَ!

تَأَخَّرَ الْمُنَافِقُونَ: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

وَتَقَدَّمَ الصَّادِقُونَ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

فَفَرَّقَ اللهُ ﷻ بِالْجِهَادِ بَيْنَ الصَّادِقِينَ وَالْكَاذِبِينَ، بَيْنَ الْمُحِبِّينَ للهِ وَرَسولِهِ ﷺ وَالْمُدَّعِينَ.

إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ هُوَ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا، وَهُوَ أَيْسَرُ الطُّرُقِ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْجَنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ**

المُسلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ بَذْلَ أَعْظَم وَأَنْفَس مَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ أَنْفُسُهُمْ يَبْذُلُونهَا دُونَ خَوْفٍ وَلَا تَرَدُّدٍ، وَلَمَّا كَانَ فِيهِ بَذْلُ الْأَمْوَالِ وَتَرْكُ الزَّوْجَاتِ وَالذُّرِّيَّاتِ، وَهَجْرُ الْمَسَاكِنِ وَالْأَوْطَانِ وَالْمَلَذَّاتِ.

وَلَمَّا كَانَ فِيهِ قَتْلُ الْأَنْفُسِ وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ؛ كَانَ حَرِيًّا بِالشَّرْعِ أَنْ يَضَعَ لَهُ أَعْظَمَ الضَّوَابِطِ وَأَقْوَىٰ الْأَحْكَامِ؛ حَتَّىٰ لَا تُرَاقَ الدِّمَاءُ فِي كُلِّ وَادٍ وَبِكُلِّ سَبِيلٍ، وَحَتَّىٰ لَا يَخْتَلِطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ، وَلَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ(٢).

إِنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْوَاحَهُمْ هِيَ أَعْظَمُ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ؛ لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنيَا أَهوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**»(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١٨٧٦).

(٢) أخرج مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٩٠٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ**»، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟! قَالَ: «**الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**».

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي (٧/ ٨٢)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، وأخرجه أيضا ابن ماجه (٢٦١٩)، من حديث: الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، بنحوه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ٢٤٣٨، و٢٤٣٩).

وَقَالَ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ: «**مَا أَطْيَبَكِ! وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ! وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ؛ مَالِهِ وَدَمِهِ**»(١).

وَقَدْ بَيَّنَ الدِّينُ الْعَظِيمُ -كِتَابًا وَسُنَّةً- أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ غَايَةً فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ.

فَالْجِهَادُ لَيْسَ هَدَفًا فِي ذَاتِهِ وَلَا غَايَةً، إِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ لِرَفْعِ رَايَةِ الدِّينِ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتمامه: «...، **مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَفْجِيرَاتُ بُروكْسِل بَيْنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ/ ٢٥-٣-٢٠١٦م.

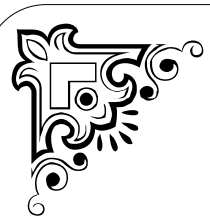
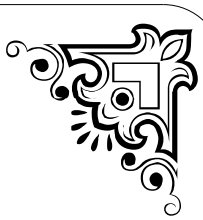

وُجُوبُ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجِهَادِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

فَالْبِرُّ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وأَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ مِنَ التَّحَقُّقِ بِعَقَائِدِ الدِّينِ وَأَخْلَاقِهِ، وَالْعَمَلِ بِآدَابِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ مِنَ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمِنَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، فَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْبِرِّ.

وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ: التَّعَاوُنُ عَلَىٰ اجْتِنَابِ وَتَوَقِّي مَا نَهَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ؛ مِنَ الْفَوَاحِشِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمِنَ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالْقَوْلِ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ؛ بَلْ عَلَىٰ تَرْكِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: التَّعَاوُنُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي يُتَّقَىٰ بِهَا ضَرَرُ الْأَعْدَاءِ؛ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ بِالْأَسْلِحَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْوَقْتِ، وَتَعَلُّمِ الصَّنَائِعِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالسَّعْيِ فِي تَكْمِيلِ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

فَيَدْخُلُ فِي هَذَا: الِاسْتِعْدَادُ بِكُلِّ الْمُسْتَطَاعِ؛ مِنْ قُوَّةٍ عَقْلِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَصِنَاعِيَّةٍ، وَتَعَلُّمُ الْآدَابِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَالنِّظَامِ النَّافِعِ، وَالرَّمْيِ وَالرُّكُوبِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا: التَّحَرُّزُ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ يُدْرِكُهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاتِّخَاذُ الْحُصُونِ الْوَاقِيَةِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ الْمُعْتَدِينَ -فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ وَأَحَادِيثَ مُتَنَوِّعَةٍ- بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالرَّأْيِ، وَفِي حَالِ الِاجْتِمَاعِ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَالْأَمْرُ بِذَلِكَ أَمْرٌ بِهِ وَبِكُلِّ أَمْرٍ يُعِينُ عَلَيْهِ وَيُقَوِّيهِ وَيُقَوِّمُهُ.

وَأَخْبَرَ بِمَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ بِهِ مِنْ أَصْنَافِ الشُّرُورِ، وَمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالرِّفْعَةِ، وَمَا فِي تَرْكِهِ وَالزُّهْدِ فِيهِ مِنَ الذُّلِّ وَالضَّرَرِ الْعَظِيمِ، وَتَوَعَّدَ النَّاكِلِينَ عَنْهُ بِالْخِذْلَانِ، وَالسُّقُوطِ الْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَبَيَّنَ لَهُمُ الطُّرُقَ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا فِي تَقْوِيَةِ مَعْنَوِيَّتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ حَثَّهُمْ عَلَىٰ التَّآلُفِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّبَاغُضِ وَالتَّعَادِي وَالِافْتِرَاقِ.

وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْجِهَادِ هُوَ الْجِدُّ وَالِاجْتِهَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُقَوِّي الْمُسْلِمِينَ، وَيُصْلِحُهُمْ، وَيَلُمُّ شَعَثَهُمْ، وَيَضُمُّ مُتَفَرِّقَهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عُدْوَانَ الْأَعْدَاءِ، أَوْ يُخَفِّفُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَوَسِيلَةٍ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ وُجُوبِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَوْضُوعِ الْجِهَادِ الدِّينِيِّ وَبَيَانِ كُلِّيَّاتٍ مِنْ بَرَاهِينِ الدِّينِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الْأَحَدُ ٢٧ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١-١٢-٢٠١٣م.

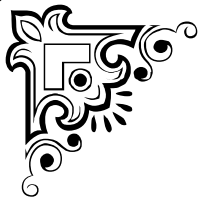
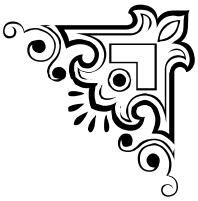

مَنْزِلَةُ الشَّهَادَةِ وَثَمَرَاتُهَا

لَقَدِ اقْتَضَتْ سُنَّةُ اللهِ ﷻ أَنْ يَصْطَفِيَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ، فَيَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ، وَيُعْلِي مِنْ شَأْنِهِمْ، وَيَمُدُّهُمْ بِعَطَايَاهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَقَامَ الشَّهَادَةِ مِنْ أَعْلَىٰ مَقَامَاتِ الِاصْطِفَاءِ وَالِاجْتِبَاءِ الَّتِي يَمْتَنُّ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهَا عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ دَوَامًا فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَيُطِعِ الرَّسُولَ فِي السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا؛ فَأُولَئِكَ الْفُضَلَاءُ ذَوُو الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، الْمُطِيعُونَ للهِ وَرَسُولِهِ فِي صُحْبَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَبِدُخُولِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ؛ مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَنْبَأَهُمُ اللهُ وَاخْتَارَهُمْ؛ لِيُخْبِرُوا عَنْهُ -تَعَالَىٰ-، وَيُبَلِّغُوا شَرْعَهُ.

وَمَعَ كَثِيرِي الصِّدْقِ فِي إِيمَانِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِكُلِّ الدِّينِ.

وَمَعَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْحَقَّ، وَعَلِمُوهُ كَعِلْمِ الْمُعَايَنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَاسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمَعَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ.

وَنِعْمَتُ الصُّحْبَةُ صُحْبَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَالشَّهِيدُ: هُوَ الَّذِي قُتِلَ بَاذِلًا دَمَهُ وَنَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ اللهِ، يُعَوِّضُهُ اللهُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ -أَيْ قَبْلَ الْقِيَامَةِ-، وَفِي الْجَنَّةِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ.(*).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٤].

لَمَّا ذَكَرَ -تَعَالَىٰ- الْأَمْرَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَحْوَالِ؛ ذَكَرَ نَمُوذَجًا مِمَّا يُسْتَعَانُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَأَشَقُّهَا عَلَىٰ النُّفُوسِ؛ لِمَشَقَّتِهَا فِي نَفْسِهِ، وَلِكَوْنِهِ مُؤَدِّيًا لِلْقَتْلِ وَعَدَمِ الْحَيَاةِ، الَّتِي إِنَّمَا يَرْغَبُ الرَّاغِبُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ وَلَوَازِمِهَا، فَكُلُّ مَا يَتَصَرَّفُونَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ سَعْيٌ لَهَا، وَدَفْعٌ لِمَا يُضَادُّهَا.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْمَحْبُوبَ لَا يَتْرُكُهُ الْعَاقِلُ إِلَّا لِمَحْبُوبٍ أَعْلَىٰ مِنْهُ وَأَعْظَمَ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِهِ؛ بِأَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَدِينُهُ الظَّاهِرُ، لَا لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَفُتْهُ الْحَيَاةُ الْمَحْبُوبَةُ، بَلْ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةٌ أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ مِمَّا تَظُنُّونَ وَتَحْسِبُونَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

فَالشُّهَدَاءُ.. ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

فَهَلْ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْقُرْبِ مِنَ اللهِ، وَتَمَتُّعِهِمْ بِرِزْقِهِ الْبَدَنِيِّ فِي الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ اللَّذِيذَةِ، وَالرِّزْقِ الرُّوحِيِّ، وَهُوَ الْفَرَحُ، وَهُوَ الِاسْتِبْشَارُ، وَزَوَالُ كُلِّ خَوْفٍ وَحُزْنٍ، وَهَذِهِ حَيَاةٌ بَرْزَخِيَّةٌ أَكْمَلُ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ بَلْ قَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

فَيُخْبِرُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَعَرَكَةُ الْعَوْدَةِ وَمَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ| ٤-١٠-٢٠١٩م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].(*).

وَقَدِ اشْتَرَىٰ اللهُ ﷻ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نُفُوسَهُمْ؛ لِنَفَاسَتِهَا لَدَيْهِ؛ إِحْسَانًا مِنْهُ وَفَضْلًا، وَكَتَبَ ذَلِكَ الْعَقْدَ الْكَرِيمَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ؛ فَهُوَ يُقْرَأُ أَبَدًا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُتْلَىٰ، قَالَ -تَعَالَىٰ- مُبَيِّنًا لُزُومَ هَذَا الْعَقْدِ أَزَلًا فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(٢) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ عَاوَضَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِذَا بَذَلُوهَا فِي سَبِيلِهِ بِالْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ قَبِلَ الْعِوَضَ عَمَّا يَمْلِكُهُ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ عَبِيدِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ.

لِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَتَادَةُ: «بَايَعَهُمُ اللهُ فَأَغْلَىٰ ثَمَنَهُمْ»(٣)».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَعَرَكَةُ الْعَوْدَةِ وَمَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ| ٤-١٠-٢٠١٩م.

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»: (٤/ ٢١٨).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: (١١/ ٣٦)، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] قَالَ: **بَايَعَهُمْ فَأَغْلَىٰ لَهُمُ**».

=

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

فَقَرَنَ -تَعَالَىٰ- ذِكْرَ الشُّهَدَاءِ مَعَ النَّبِيِّينَ؛ تَكْرِيمًا لَهُمْ، وَبَيَانًا لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قَالَ السُّهَيْلِيُّ(١): «وَفِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلشُّهَدَاءِ، وَتَنْبِيهٌ عَلَىٰ حُبِّ اللهِ إِيَّاهُمْ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، وَلَا يُقَالُ: اتَّخَذْتُ، وَلَا اتَّخَذَ؛ إِلَّا فِي مُصْطَفًىٰ مَحْبُوبٍ، قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، فَالِاتِّخَاذُ إِنَّمَا هُوَ اقْتِنَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ».

وَلَقَدْ خَصَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- وَرَسُولُهُ ﷺ الشُّهَدَاءَ بِمَنَاقِبَ عَدِيدَةٍ؛ فَمِنْهَا:

*** شَرَفُ مَكَانِهِمْ وَجِوَارِهِمْ، وَعَظِيمُ أَجْرِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وَالشُّهَدَاءُ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَقُتِلُوا؛ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَجْرٌ جَزِيلٌ، وَنُورٌ عَظِيمٌ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ بِحَسَبِ مَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا فِي أَعْمَالِهِمْ.

فَهَذِهِ الْمَكَانَةُ لِلشُّهَدَاءِ خَاصَّةً، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ عِظَمِ هَذَا الشَّرَفِ وَالْمَكَانَةِ مِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ لِيُكْتَبَ لَهُ أَجْرُ هَذِهِ

=

وَعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] قَالَ: **ثَامَنَهُمُ اللهُ فَأَغْلَىٰ لَهُمُ الثَّمَنَ**».

(١) «**الروض الأنف**»: (٦/ ٤١ - ٤٢).

الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ الْمُسلِمِينَ؛ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

لَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضْلَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبَيَّنَ عَظِيمَ قَدْرِ الشَّهِيدِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ**»(٢). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(*).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدَ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنَ الْكَرَامَةِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لِمَا يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١٨٧٦).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: (٤/ ١٩٠، رقم ١٦٦٨) وَالنَّسَائِيُّ: (٦/ ٣٦، رقم ٣١٦١)، وَابْنُ مَاجَهْ: (٢/ ٩٣٧، رقم ٢٨٠٢).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٢/ ٦٤٩، رقم ٩٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٦/ ١٤ - ١٥، رقم ٢٧٩٥)، وَمُسْلِمٌ: (٣/ ١٤٩٨، رقم ١٨٧٧).

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟**

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! خَيْرَ مَنْزِلٍ.

فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّهْ.

فَيَقُولُ: وَمَا أَسْأَلُكَ وَأَتَمَنَّىٰ؟!! أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ»(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.(*).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: **أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ -وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ- أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ:** «يَا نَبِيَّ اللهِ! أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ -وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ؛ أَيْ: لَا يُدْرَىٰ رَامِيهِ- فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ».

قَالَ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَىٰ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ: (٦/ ٣٦، رقم ٣١٦٠)، وأحمد: (٣/ ٢٠٨، رقم ١٣١٦٢)، والحاكم: (٢/ ٧٥، رقم ٢٤٠٥).

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ»، ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني في «**الصحيحة**»: (٧/ ٢٢، رقم ٣٠٠٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَعَرَكَةُ الْعَوْدَةِ وَمَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ| ٤-١٠-٢٠١٩م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٦/ ٢٥ - ٢٦، رقم ٢٨٠٩).

* **وَالشَّهِيدُ تُكَفَّرُ عَنْهُ خَطَايَاهُ؛ إِلَّا الدَّيْنَ**، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَالشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ تُكَفِّرُ جَمِيعَ مَا عَلَىٰ الْعَبْدِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا.(*).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ «**أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ**»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**».

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ؛ إِلَّا الدَّيْنَ؛ فَإِنَّ جَبْرَائِيلَ قَالَ لِي ذَلِكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢). (*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (٣/ ١٥٠١، رقم ١٨٨٥).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَعَرَكَةُ الْعَوْدَةِ وَمَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ| ٤-١٠-٢٠١٩م.

* **وَمِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ: أَنَّ رِيحَ دَمِ الشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُ الْمِسْكِ**؛ «فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**»(١).

«**مَا مِنْ مَكْلُومٍ**»: مَجْرُوحٍ، «**يُكْلَمُ**»: يُجْرَحُ، «**فِي سَبِيلِ اللهِ**» يَعْنِي: بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ للهِ، وَبَذْلِ النَّفْسِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ.

«**إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ**» أَيْ: وَجُرْحُهُ يَثْعُبُ مِنْهُ الدَّمُ، وَيَسِيلُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ جُرِحَ.

«**اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**»: اللَّوْنُ أَحْمَرُ كَلَوْنِ الدَّمِ؛ وَلَكِنَّ الرِّيحَ رِيحُ الْمِسْكِ، وَلَيْسَ بِرِيحِ دَمٍ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ.. بِأَنْ كَانَ مُخْلِصًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بَاذِلًا نَفْسَهُ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، طَائِعًا رَاجِيًا مِنَ اللهِ ثَوَابَهُ، خَائِفًا مِنْ عِقَابِهِ؛ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَىٰ -يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ- كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ.

---

(١) «عمدة الأحكام» (رقم٤١٩)، وهذا جزء من حديث؛ أخرجه البخاري (رقم٥٥٣٣) واللفظ له، ومسلم (رقم١٨٧٦)، ولفظه: «**مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ**».
وفي رواية لهما: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ**».
وفي رواية لمسلم: «**كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ**».

وَهَذَا فِيهِ فَضِيلَةُ مَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنَّ رَائِحَةَ دَمِهِ تَنْتَشِرُ فِي الْمَوْقِفِ، فَيَشُمُّهَا النَّاسُ جَمِيعًا، كَأَنَّهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ.

فَيُشْتَرَطُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَمَا مَعْنَىٰ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

أَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا للهِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَوْجَبَ جُرْحَهُ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ صَوَابًا عَلَىٰ مَا شَرَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَإِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ مَدْخُولَةً، أَوْ كَانَ الْعَمَلُ عَلَىٰ غَيْرِ صَوَابٍ عَلَىٰ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ كَلْمُهُ كَذَلِكَ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ**»(١).

يُعْلَمُ مِنْ هَذَا: أَنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا يُسَمُّونَهُ بِالْعَمَلِيَّاتِ الِاسْتِشْهَادِيَّةِ -وَهِيَ لَيْسَتْ بِاسْتِشْهَادِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّاتٌ انْتِحَارِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ مَا يَأْتِي بِهِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ؛ بِإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ الْبَرِيئَةِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِتْلَافِ الْأَمْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا هُدًىٰ-؛ يُؤْخَذُ مِنْ

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم٢٧٨٧).

وقد أخرج نحوه مسلم (رقم١٨٧٨)، من طريق آخر، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل؟ قَالَ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ**».

هَذَا: أَنَّ عَمَلَهُمْ بَاطِلٌ، وَهُوَ مُوجِبٌ لِغَضَبِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَيْسَ بِمُوجِبٍ لِرِضَاهُ -كَمَا زَعَمُوا-.

وَلِهَذَا فَلْيَتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَلْيَتَّقِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِينَ يُفْتُونَهُمْ بِجَوَازِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْإِفْسَادِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِخَافٍ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ ﷺ: «**إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ**»: يَنْزِلُ مِنْهُ الدَّمُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ.

فَمَا السَّبَبُ فِي تَغَيُّرِ رَائِحَةِ الدَّمِ -وَإِنْ كَانَ اللَّوْنُ لَوْنَ دَمٍ-؟

السَّبَبُ طِيبُ النِّيَّةِ، فَكَمَا طَيَّبَ نِيَّتَهُ؛ طَيَّبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَائِحَةَ دَمِهِ، فَقَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَامْتَثَلَ الْأَمْرَ، وَكَانَتْ نِيَّتُهُ طَيِّبَةً، فَطَيَّبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَائِحَةَ الدَّمِ، وَتِلْكَ الرَّائِحَةُ الْحَسَنَةُ يَسْتَدِلُّ بِهَا مَنْ شَمَّهَا عَلَىٰ حُسْنِ عَمَلِ صَاحِبِهَا، وَطِيبِ نِيَّتِهِ، وَإِخْلَاصِهِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يُرِيدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُظْهِرَ شَرَفَ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ الدَّمَ بِلَوْنِهِ، وَجَعَلَ الرَّائِحَةَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ، يَعْلَمُ ذَلِكَ أَهْلُ الْمَوْقِفِ»(١). (*).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه **قَالَ**: «جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ مُثِّلَ بِهِ؛ حَتَّىٰ وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ سُجِّيَ ثَوْبًا، فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ،

---

(١) «تأسيس الأحكام» (٥/ ٢٨٠-٢٨٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَة ٨١ - الْأَرْبِعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ| ٣-٣-٢٠١٠م.

فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**».

فَقَالُوا: ابْنَةُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو.

قَالَ: «**فَلِمَ تَبْكِي؟** أَوْ: **لَا تَبْكِي، فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رُفِعَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالَ: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢). (*).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَعْلُقُ** -أَيْ: تَرْعَىٰ- **مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ**، أَوْ قَالَ: **مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ**»(٤). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣/ ١١٤، رقم ١٢٤٤)، وَمُسْلِمٌ: (٤/ ١٩١٧، رقم ٢٤٧١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣/ ٢٥١، رقم ١٣٨٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ: (٤/ ١٧٨١، رقم ٢٢٧٥)، مُخْتَصَرًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: (٤/ ١٧٦، رقم ١٦٤١)، واللفظ له، وَالنَّسَائِيُّ: (٤/ ١٠٨، رقم ٢٠٧٣)، وَابْنُ مَاجَهْ: (٢/ ١٤٢٨، رقم ٤٢٧١)، من حديث: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ**».

=

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سَبْعَ خِصَالٍ: أَنْ يُغفَرَ لَه فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجنَّةِ، وَيُحَلَّىٰ حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَىٰ رَأْسِه تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

=

قال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ١٣٦، رقم ١٣٦٨).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: (٣/ ١٥، رقم ٢٥٢٢)، وَابْنُ حِبَّانَ: (١٠/ ٥١٧، رقم ٤٦٦٠)، والسياق له.

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ١٣٦، رقم ١٣٦٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: (٤/ ١٣١، رقم ١٧١٨٣)، وَالطَّبَرَانِيُّ كَمَا فِي «**امَجْمَعِ الزَّوَائِدِ**»: (٥/ ٢٩٣).

والحديث عند التِّرْمِذِيِّ: (٤/ ١٨٧ - ١٨٨، رقم ١٦٦٣)، وَابْنِ مَاجَهْ: (٢/ ٩٣٥، رقم ٢٧٩٩)، من رواية: الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ رضي الله عنه، بمثل رواية: عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه.

قال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وَكِلَا الحديثين صححهما الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ١٣٩ - ١٤، رقم ١٣٧٤ و ١٣٧٥).

وَعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟».

قَالَ: «**كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، لَا مَالَ لِي، فَإِنْ أَنَا قَاتَلْتُ هَؤُلَاءِ حَتَّىٰ أُقْتَلَ؛ فَأَيْنَ أَنَا؟

قَالَ: «**فِي الْجَنَّةِ**».

فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**قَدْ بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ، وَطَيَّبَ رِيحَكَ، وَأَكْثَرَ مَالَكَ**»، وَقَالَ لِهَذَا أَوْ لِغَيْرِهِ: «**فَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ نَازَعَتْهُ جُبَّةً لَهُ مِنْ صُوفٍ، تَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُبَّتِهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.(*).

*** وَمِنْ إِكْرَامِ اللهِ لِأَجْسَادِهِمُ الَّتِي بَذَلُوهَا لِأَجْلِهِ: إِبْقَاؤُهَا كَمَا هِيَ؛ فَلَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ.**

---

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ: (٤/ ٩٩، رقم ٢٠٥٣).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ١٤٣، رقم ١٣٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: (٢/ ٩٣، رقم ٢٤٦٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**الدَّلَائِلِ**»: (٤/ ٢٢١).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ١٤٣ - ١٤٤، رقم ١٣٨١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَعَرَكَةُ الْعَوْدَةِ وَمَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ| ٤-١٠-٢٠١٩م.

فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: عِنْدَمَا دُفِنَ أَبُوهُ مَعَ آخَرَ، وَكَانَا قَدْ قُتِلَا فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، قَالَ جَابِرٌ: «...**ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ سِوَىٰ شَيْءٍ يَسِيرٍ فِي أُذُنِهِ**»(١).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، قَالَ: «لَمَّا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُجْرِيَ الْكِظَامَةَ(٢) قَالَ: قِيلَ: «مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ -يَعْنِي: قَتْلَىٰ أُحُدٍ-، قَالَ: فَأَخْرَجْنَاهُمْ رِطَابًا يَتَثَنَّوْنَ، قَالَ: فَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةُ إِصْبَعَ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَانْفَطَرَتْ دَمًا».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه: «وَلَا يُنْكِرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكِرٌ أَبَدًا»(٣).

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣/ ٢١٤، رقم ١٣٥١).

(٢) «**الكِظَامَة**» وهي: قَناة فِي بَاطِنِ الأَرض يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ.
انْظُرْ: «**لِسَانَ الْعَرَبِ**»: (١٢/ ٥٢١)، مَادَّةُ: (كظم).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «**الْجِهَادِ**»: (ص ١١٢، رقم ٩٨)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ: (٣/ ٥٤٧، رقم ٦٦٥٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «**الْمُصَنَّفِ**»: (٧/ ٣٧٢، رقم ٣٦٧٩٠)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «**شَرْحِ الْمُشْكِلِ**»: (١٢/ ٤٤٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ: (١/ ٥٧٠، رقم ٥١٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ**»: (٣/ ٢٩١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

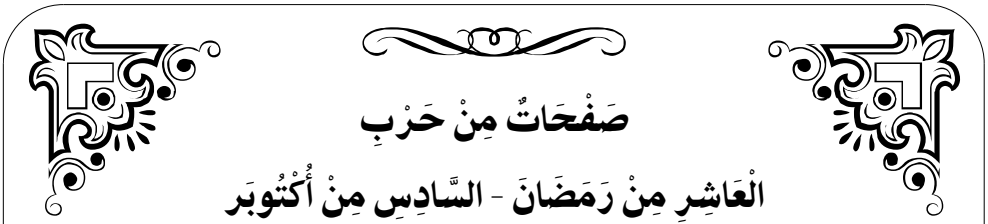

صَفْحَاتٌ مِنْ حَرْبِ
الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ - السَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَر

هَذِهِ الْأُمَّةُ تَصَدَّتْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ لِلْيَهُودِ، مِنْ إِخْوَانِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَصَيْحَتُهُمْ: «اللهُ أَكْبَرُ».

أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَكْبَرُ مِنَ الْعَتَادِ وَالْعُدَّةِ، أَكْبَرُ مِنَ التَّخْطِيطِ وَالتَّنْظِيمِ، أَكْبَرُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ، أَكْبَرُ مِنَ الْمَعُونَةِ تَأْتِي مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ.

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَدُحِرُوا، وَأُذِلُّوا، وَأُهِينُوا -يَعْنِي الْيَهُودَ عَامَ ١٩٧٣م-.(*).

فَبَعْدَمَا كَانَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ «١٩٦٧م»، وَمَا وَقَعَ مِنَ احْتِلَالِ سَيْنَاءَ؛ قَامَ الْيَهُودُ بِوَضْعِ حَوَاجِزَ خَطِيرَةٍ فِي طَرِيقِ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ الأَبِيِّ، كَانَ هُنَاكَ الْحَاجِزُ الْمَائِيُّ الْمُتَمَثِّلُ فِي قَنَاةِ السُّوَيسِ، وَالَّذِي كَانَ عُبُورُهُ يُعَدُّ مُشْكِلَةً أَمَامَ أَيِّ جَيْشٍ فِي الْعَالَمِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ صَفَر ١٤٣٢هـ/ ٧-١-٢٠١١م.

ثُمَّ كَانَتْ هُنَاكَ مَادَّةُ «النَّابَالْمِ» الَّذِي يَلْتَهِبُ مَتَىٰ اتَّصَلَ بِالْمَاءِ، وَقَدْ وَضَعَ الْيَهُودُ مَقَادِيرَ هَائِلَةً مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ؛ لِتُطْلَقَ بِوَاسِطَةِ أَنَابِيبَ عِنْدَ اللُّزُومِ إِلَىٰ مَاءِ الْقَنَاةِ.

ثُمَّ كَانَ هُنَاكَ «السَّدُّ التُّرَابِيُّ الْهَائِلُ» الَّذِي وَضَعَهُ الْيَهُودُ عَلَىٰ الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِلْقَنَاةِ.

وَأَخِيرًا؛ كَانَ هُنَاكَ «خَطُّ بَارْلِيف» الْمَنِيعُ، الْمُزَوَّدُ بِأَحْدَثِ الْمُعِدَّاتِ، وَالَّذِي كَانَ يَمْتَدُّ عَلَىٰ طُولِ السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ لِلْقَنَاةِ.

فَهَذِهِ الْمَوَانِعُ كُلُّهَا مَعَ الْمَانِعِ النَّفْسِيِّ، وَمَا أَشَاعُوهُ مِنْ أَنَّهُمُ الْقُوَّةُ الَّتِي لَا تُقْهَرُ، وَأَخَذُوا يُرَوِّجُونَ لِذَلِكَ؛ حَتَىٰ ثَبَتَ فِي أَذْهَانِ وَقُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ -مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ-، فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيرِ الْمُسْلِمِينَ: أُسْطُورَةُ الْجَيْشِ الَّذِي لَا يُقْهَرُ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْحَوَاجِزِ وَمِنْ أَمْنَعِ الْمَوَانِعِ.

هَذَا الَّذِي وَقَعَ كَانَ اجْتِيَازُهُ مُسْتَحِيلًا فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَلَكِنْ فِي «**الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ (١٣٩٣هـ)** انْدَفَعَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ إِلَىٰ سَيْنَاءَ، وَكَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُنَاكَ كَانَ عَلَىٰ مَوْعِدٍ مَعَ الزَّحْفِ المِصْرِيِّ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ أَقْدَامَ بَنِيهَا الْمِصْرِيِّينَ؛ لِتَتَعَطَّرَ بِهَا وَتُرَحِّبَ بِخُطُوَاتِهَا.

وَقَدْ نَالَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ عِنَايَةَ المُؤَلِّفِينَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْعَرَبِ وَالْأَجَانِبِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَلَامَةً بَارِزَةً فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ، وَلِأَنَّهَا غَيَّرَتْ خُطَطَ الْحَرْبِ فِي الْعَالَمِ بَعْدَ أَنِ اسْتَطَاعَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ -بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ- أَنْ يَتَخَطَّىٰ كُلَّ هَذِهِ الْعَقَبَاتِ الَّتِي مَرَّتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِنَجَاحٍ هَائِلٍ.

وَأَوَّلُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ السُّلُطَاتِ الْمِصْرِيَّةَ نَجَحَتْ فِي تَحْقِيقِ الْمُفَاجَأَةِ، وَخَدَعَتِ الدَّوْلَةَ اللَّقِيطَةَ -دَوْلَةَ الْيَهُودِ الْمَزْعُومَةَ- وَضَلَّلَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ وَمَعَهَا «الاسْتِخْبَارَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ» أَنْ تَتَأَكَّدَ مِنْ عَزْمِ مِصْرَ عَلَىٰ الْهُجُومِ.

وَأَمَّا مَادَّةُ النَّابَالْمِ؛ فَقَدِ اسْتَطَاعَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ أَنْ يُبْطِلَ اسْتِعْمَالَهَا، فَقَدْ قَامَتْ وَحْدَاتُ الصَّاعِقَةِ بِسَدِّ أَنَابِيبِ النَّابَالْمِ، وَتَخْرِيبِهَا قَبْلَ بَدْءِ الْهُجُومِ بِلَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمَّا حَاوَلَ الْعَدُوُّ اسْتِعْمَالَهَا؛ فُوجِئَ بِنِهَايَتِهَا.

وَكَانَ الْيَهُودُ يُبَالِغُونَ فِي تَقْدِيرِ خَطِّ بَارْلِيف، وَقَدْ أَعْلَنَ «مُوشَىٰ دَيَّان»: «أَنَّ اقْتِحَامَ خَطِّ بَارْلِيف، وَالتَّغَلُّبَ عَلَيهِ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يَتَجَاوَزُ قُدْرَةَ الْمِصْرِيِّينَ، وَيَحْتَاجُ إِلَىٰ مُهَنْدِسِ الجَيْشَيْنِ السُّوفيتِيِّ -وَقْتَهَا- وَالْأَمْرِيكِيِّ مَعًا».

وَجَاءَ يَومُ «**الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ**» أَوْ «**يَومُ الْهَوْلِ**» كَمَا سَمَّاهُ بَعْضُ الْيَهُودِ، وَبَعْدَ مُنْتَصَفِ النَّهَارِ بِقَلِيلٍ؛ انْطَلَقَتْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَي طَائِرَةٍ مِصْرِيَّةٍ مُزَمْجِرَةٍ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، فَدَمَّرَتْ مَرَاكِزَ قِيَادَةِ اليَهُودِ، وَمَرَاكِزَ التَّنَصُّتِ، وَمَوَاقِعَ صَوَارِيخِ «هُوك» فِي عُمْقِ سَيْنَاءَ، فَأَصَابَتِ الْقِيَادَةَ الْيَهُودِيَّةَ بِشَلَلٍ تَامٍّ.

وَعِنْدَمَا تَحَرَّكَتِ الطَّائِرَاتُ الْيَهُودِيَّةُ مُتَّجِهَةً لِمُوَاجَهَةِ الزَّحْفِ الْمِصْرِيِّ؛ سَرْعَانَ مَا تَسَاقَطَتْ هَذِهِ الطَّائِرَاتُ؛ بِسَبَبِ غَابَةِ الصَّوَارِيخِ الْمِصْرِيَّةِ الْمُضَادَّةِ لِلطَّائِرَاتِ.

وَقَامَتْ مَعَارِكُ جَوِّيَّةٌ؛ قَالَ الْعَسْكَرِيُّونَ عَنْهَا: «إِنَّهَا كَانَتْ خَمْسِينَ مَعْرَكَةً، أُسْقِطَ لِلْيَهُودِ فِيهَا تِسْعُونَ طَائِرَةً، بِالإِضَافَةِ إِلَىٰ آلَافِ الطَّلْعَاتِ الْجَوِّيَّةِ الَّتِي

حَقَّقَتْ أَرْقَامًا قِيَاسِيَّةً، وَأَصَابَتِ الْأَهْدَافَ، وَقَصَفَتْ تَجَمُّعَاتِ الْجَيْشِ الْيَهُودِيِّ وَطَوَابِيرَهُ الْمُدَرَّعَةَ، مِمَّا أَفْقَدَ الْعَدُوَّ تَوَازُنَهُ».

وَمَعَ المَوْجَاتِ المُتَلَاحِقَةِ مِنَ الطَّائِرَاتِ؛ كَانَ هُنَاكَ أَلْفُ مِدْفَعٍ تَهْدِرُ فِي قَصْفَاتٍ مُتَلَاحِقَةٍ، وَانْدَفَعَتْ مَوْجَاتُ الْعُبُورِ مِنْ أَبْطَالِ مِصْرَ بِوَاسِطَةِ قَوَارِبَ مِنَ المَطَّاطِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ عُبُورُهُمْ تَحْتَ وَابِلٍ مِنَ النِّيرَانِ.

وَوَصَلَ الْجُنُودُ الْمِصْرِيُّونَ إِلَىٰ النِّقَاطِ الْحَصِينَةِ رَغْمَ كُلِّ مُقَاوَمَةٍ، وَمَعَ أَنَّ بَعْضَ النِّقَاطِ كَانَتْ عَنِيدَةً فِي دِفَاعِهَا؛ فَإِنَّ جُنُودَ مِصْرَ كَانُوا يَقْتَحِمُونَ بِالْمَدَافِعِ الرَّشَّاشَةِ وَالْقَنَابِلِ الْيَدَوِيَّةِ هَذِهِ الْحُصُونَ، وَكَانَ عَرْضُ السَّاتِرِ التُّرَابِيِّ فِي بَعْضِ المَوَاقِعِ مِائَتَيْ مِتْرٍ.

وَلَمْ تَكُنِ الأَرْضُ صَالِحَةً لِنَصْبِ جُسُورِ الْعُبُورِ؛ وَلَكِنَّ المُهَنْدِسِينَ المِصْرِيِّينَ كَانُوا فِي أَعْظَمِ لَحَظَاتِ حَيَاتِهِمْ.

وَكَانَ «مُدِيرُ سِلَاحِ المُهَنْدِسِينَ» يُشْرِفُ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ مَوَاقِعِ الْجُسُورِ حَتَّىٰ تَمَّتْ، وَقَضَىٰ «نَائِبُ مُدِيرِ سِلَاحِ الْمُهَنْدِسِينَ» عَلَىٰ أَحَدِ جُسُورِ الْعُبُورِ.

وَتَحَرَّكَتْ قُوَّاتُنَا الْبَحَرِيَّةُ؛ لِتَضْرِبَ أَهْدَافًا حَيَوِيَّةً عَلَىٰ شَاطِئِ البَحْرِ الأَبْيَضِ وَعَلَىٰ شَاطِئِ البَحْرِ الأَحْمَرِ عَلَىٰ السَّوَاءِ.

وَنَزَلَتِ القُوَّاتُ الخَاصَّةُ وَرَاءَ خُطُوطِ الْعَدُوِّ فِي عُمْقِ سَيْنَاءَ؛ لِتَضْرِبَ خُطُوطَ إِمْدَادِهِ، وَلتُعَطِّلَ هَجَمَاتِهِ المُضَادَّةَ وَتُعَرْقِلَهَا.

وَاسْتَمَرَّ التَّدَفُّقُ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ، لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَنْقَطِعُ، وَفِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً كَانَتْ لَدَيْنَا فِي الشَّرْقِ خَمْسُ فِرَقٍ كَامِلَةٍ، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهُ مِنْ قَبْلُ فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ.

ونُسِفَتْ مَوَاقِعُ خَطِّ بَارْلِيف، وَأُزِيلَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا إِلَىٰ الأَبَدِ، وَتُرِكَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا؛ لِلْعِبْرَةِ وَالذِّكْرَىٰ، فَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ دُمِّرَ لِلْعَدُوِّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَوْقِعًا مِنْهَا، وَفِي اليَوْمِ التَّالِي دُمِّرَتْ تِسْعَةُ مَوَاقِعَ، وَهَكَذَا تَحَوَّلَتِ المَوَاقِعُ إِلَىٰ رَمَادٍ، وَتَحَوَّلَ حِلْمُ اليَهُودِ فِي الأَمْنِ المُطْلَقِ إِلَىٰ أَنْقَاضٍ وَرُكَامٍ.

وَفِي قَلْبِ سَيْنَاءَ دَارَتْ أَخْطَرُ مَعَارِكَ لِلدَّبَّابَاتِ فِي التَّارِيخِ، وَذَلِكَ خِلَالَ يَوْمَيِ الرَّابِعَ عَشَرَ، وَالخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ أُكْتُوبَر، المُوَافِقَينِ لِلثَّامِنَ عَشَرَ وَالتَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، يَقُولُ العَسْكَرِيُّونَ: إِنَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي دُمِّرَتْ فِي هَذِهِ المَعَارِكِ كَانَتْ تُعَدُّ بِالْمِئَاتِ.

وَيَقُولُ أَحَدُ قَادَةِ الْأَلْوِيَةِ اليَهُودِيَّةِ «يَشْعِيَا بْنُ بُوَارَتْ» فِي كِتَابِهِ «التَّقْصِير»:

«إِنَّ المِصْرِيِّينَ كَانُوا يَرْكُضُونَ نَحْوَ دَبَّابَاتِنَا دُونَ وَجَلٍ، وكَانُوا يَتَسَلَّقُونَهَا وَيَقْتُلُونَ أَطْقُمَهَا بِالْقَنَابِلِ اليَدَوِيَّةِ وَالصَّوَارِيخِ وَهُمْ فِيهَا».

فِي غَمْرَةِ الهَزَائِمِ الَّتِي نَزَلَتْ بِاليَهُودِ؛ كَثِيرٌ مِنْ مَوَاقِعِ العَدُوِّ أَعْلَنَتِ اسْتِسْلَامَهَا، وَرَفَعَتِ الرَّايَةَ البَيْضَاءَ.

وَكَانَ الصَّلِيبُ الأَحْمَرُ يَتَدَخَّلُ مُعْلِنًا أَنَّهُ لَيْسَ هُنَالِكَ إِكْرَاهٌ عَلَىٰ الاسْتِسْلَامِ؛ وَلَكِنَّ كَثْرَةَ الضَّحَايَا، وَفِقْدَانَ الأَمَلِ جَعَلَا الاسْتِسْلَامَ أَمْرًا طَبْعِيًّا.

وَأَدْرَكَ قَادَةُ اليَهُودِ أَنَّهُ لَا أَمَلَ فِي الانْتِصَارِ عَلَىٰ المِصْرِيِّينَ أَوْ رَدِّهِمْ عَنْ سَيناءَ، فَأَرْسَلَتْ رَئِيسَةُ وُزَرَاءِ إِسْرَائِيلَ «جُولدَا مَائِير» تَطْلُبُ الغَوْثَ مِنَ الرَّئِيسِ الأَمْرِيكِيِّ -آنَذَاكَ- «رِيتشارَد نِيكسُون».

يقولُ الْعَسْكَرِيُّونَ: «إِنَّ اسْتِغَاثَةَ «جُولدَا مَائِير» أَعَادَتْ إِلَىٰ الأَذْهَانِ إِشَارَاتِ الاسْتِغَاثَةِ الَّتِي تُرْسِلُهَا السُّفُنُ المُوشِكَةُ عَلَىٰ الغَرَقِ، وَكَانَتْ الاسْتِغَاثَةُ قَصِيرَةً وَحَاسِمَةً، وَهِيَ: «أَنْقِذُونَا... الزِّلْزَالَ!!».

وَاسْتَجَابَتْ أَمْرِيكَا اسْتِجَابَةً هَائِلَةً لِهَذِهِ الاسْتِغَاثَةِ، فَأَسْرَعَتْ بِإِنْشَاءِ جِسْرٍ جَوِّيٍّ إِلَىٰ اليَهُودِ يَحْمِلُ الدَّبَّابَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَقِطَعَ الغِيَارِ.

وَكَانَتِ الدَّبَّابَاتُ تَنْزِلُ مِنَ الطَّائِرَةِ إِلَىٰ المَيدَانِ بِأَطْقُمِهَا الْكَامِلَةِ وَاسْتِعْدَادَاتِهَا الشَّامِلَةِ.

وَقَامَتْ وَزَارَةُ الدِّفَاعِ الْأَمْرِيكِيَّةِ «البِنْتَاجُون» بِتَجْرِيدِ بَعْضِ فِرَقِ الْجَيشِ الأَمْرِيكِيِّ مِنْ أَسْلِحَتِهَا؛ لِدَفْعِهَا بِسُرْعَةٍ إِلَىٰ اليَهُودِ.

وَكَذَلِكَ أَصْدَرَتْ تَعْلِيمَاتِهَا بِإِمْدَادِ الْجَيْشِ اليَهُودِيِّ بِالدَّبَّابَاتِ وَالصَّوَارِيخِ مِنَ المَخْزُونِ الاسْتِرَاتِيجِيِّ لِحِلْفِ الأَطْلَنْطِيِّ فِي القَارَّةِ الأُورُبِّيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَىٰ الأَسْلِحَةِ وَالذَّخَائِرِ؛ انْهَالَ الْمُتَطَوِّعُونَ الأَمْرِيكِيُّونَ مِنَ اليَهُودِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِيَأْخُذُوا مَكَانَهُمْ بِجَانِبِ الْجَيْشِ الْيَهُودِيِّ فِي أَزْمَتِهِ الْخَانِقَةِ.

ثُمَّ وَقَعَتِ الثَّغْرَةُ، قَالَ «شَارُونَ»: «أَخَذَ الْمِصْرِيُّونَ زِمَامَ الْمُبَادَرَةِ، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يُلْحِقُوا أَفْدَحَ الْخَسَائِرِ بِالْجَيْشِ الإِسْرَائِيلِيِّ -كَذَا قَالَ-، وَكَانَ القِتَالُ يُمْكِنُ أَنْ

يَتَوَقَّفَ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ، وَمَوْقِفُنَا فِي غَايَةِ السُّوءِ، وَهَذَا سَيَكُونُ كَارِثَةً كَامِلَةً بِالنِّسْبَةِ لِإِسْرَائِيلَ وَسُمْعَتِهَا، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ.

فَأَلْحَحْتُ عَلَىٰ الْقِيَادَةِ؛ لِتُوَافِقَ عَلَىٰ تَنْفِيذِ خُطَّتِي بِالْعُبُورِ إِلَىٰ الغَرْبِ فِي «الدِّفْرِسْوَار»، وَسَاعَدَتْنَا الْوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ؛ فَأَخْبَرَتْنَا أَنَّ هُنَاكَ فَرَاغًا بَيْنَ الجَيْشَيْنِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ المِصْرِيَّيْنِ، وَأَشَارَتْ عَلَيْنَا بِالْعُبُورِ إِلَىٰ الغَرْبِ.

وَيُواصِلُ شَارُونُ قَوْلَهُ: وَلَكِنَّنِي شَعَرْتُ فِي الأَيَّامِ الأُولَىٰ لِهَذِهِ العَمَلِيَّةِ أَنَّ إِقَامَةَ الجُسُورِ إِلَىٰ الغَرْبِ كَانَ خَطَأً عَسْكَرِيًّا؛ فَقَدْ كَانَ الْقَصْفُ الْمِصْرِيُّ بَالِغَ العُنْفِ، وَفَشِلْنَا تَمَامًا فِي حِصَارِ الجَيشِ الثَّالِثِ، وَانْتَهَزْنَا أَقْرَبَ فُرْصَةً؛ لِنَعُودَ أَدْرَاجَنَا إِلَىٰ الشَّرْقِ».

وَإِزَاءَ التَّدَخُّلِ الْأَمْرِيكِيِّ؛ وَبِسَبَبِ صَرْخَاتِ مَجْلِسِ الْأَمْنِ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِيقَافِ الْمَعْرَكَةِ، وَلَوْلَا تَدَخُّلُ أَمْرِيكَا لَكَانَ اليَهُودُ كُلُّهُمْ فِي خَطَرٍ، وَوَقَفَتِ المَعْرَكَةُ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ، وَبَدَأَ إِحْصَاءُ خَسَائِرِ إِسْرَائِيلَ.

يَقُولُ الْقَادَةُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ: «إِنَّ خَسَائِرَنَا حَتَّىٰ اليَوْمِ الثَّالِثِ لِلْحَرْبِ كَانَتْ هَائِلَةً، فَقَدْ سَقَطَ آلَافٌ مِنَ الْقَتْلَىٰ، وَجُرِحَ آلَافٌ آخَرُونَ، وَاسْتَسْلَمَ عَدَدٌ كَبِيرٌ فَأُخِذُوا أَسْرَىٰ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ «عَسَّافُ يَاجُورِي» قَائِدُ اللِّوَاءِ الْمِائَةِ وَالتِّسْعِينَ الْمُدَرَّعَةِ.

وَقَدْ تَجَاوَزَتِ الْخَسَائِرُ الْبَشَرِيَّةُ فِي ذَلِكَ الْيَومِ الرَّهِيبِ كُلَّ تَقْدِيرٍ، أَمَّا عَنِ المُعِدَّاتِ؛ فَقَدْ شَمِلَتْ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الطَّائِرَاتِ، وَثَمَانِيَمِائَةٍ مِنَ الدَّبَّابَاتِ، وَذَلِكَ حَسَبَ تَقْدِيرَاتِ «مَعْهَدِ الدِّرَاسَاتِ الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ بِلَنْدَنَ».

وَكَذَلِكَ قَالَتِ المَصَادِرُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ نَفْسُهَا.

وَقَالَتْ رَئِيسَةُ وُزَرَاءِ إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ خَسَائِرَ بِلَادِهَا تَفُوقُ خَسَائِرَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ فِي حُرُوبِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ عَشْرَ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ الآلَافُ مِنْ قَتْلَىٰ اليَهُودِ مِنَ الشُّبَّانِ الَّذِينَ لَمْ يَتَجَاوَزِ الوَاحِدُ مِنْهُمُ الرَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ؛ لِذَلِكَ أَطْلَقَ «مَنَاحِم بِيجِن» عَلَىٰ هَذِهِ الْحَرْبِ «حَرْبَ الأَبْنَاءِ».

لَقَدْ أَحْسَنَ «أَنْوَرُ السَّادَات» الاسْتِعْدَادَ لِلْمَعْرَكَةِ، وَنَجَحَ نَجَاحًا عَظِيمًا فِي إِدَارَتِهَا، وَقَالَ مُعَلِّقًا عَلَىٰ ذَلِكَ: «كَانَتْ ضَرْبَةُ الطَّيَرَانِ الْمِصْرِيَّةُ ضَرْبَةً رَائِعَةً، أَعَادَتْ لِقُوَّاتِنَا الْمُسَلَّحَةِ كَرَامَتَهَا الَّتِي انْتُهِكَتْ عَامَ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ، وَعَامَ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ الْهُجُومُ بِأَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ طَائِرَةٍ، وَخَسَارَتُنَا كَانَتْ ضَئِيلَةً لَا تَزِيدُ عَنِ اثْنَيْنِ بِالْمِائَةِ «٢٪»، وَحَقَّقْنَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بِالمِائَةِ مِنَ الأَهْدَافِ «٩٩٪»، أَمَّا خَسَارَةُ الْعَدُوِّ؛ فَكَانَتْ قَاتِلَةً».

وَقَالَ «رَئِيسُ الأَرْكَانِ» آنَذَاكَ: «إِنَّ تَحَرُّكَاتِ اسْتِعْدَادِنَا كَانَ يَصْحَبُهَا تَحَرُّكَاتٌ أُخْرَىٰ نَقُومُ بِهَا لِلْخِدَاعِ وَالتَّمْوِيهِ؛ لِنُحْدِثَ ارْتِبَاكًا فِي تَقْدِيرَاتِ مَنْ يُرَاقِبُ التَّحَرُّكَاتِ، وَلِتَقُودَهُ إِلَىٰ النَّتِيجَةِ الْخَاطِئَةِ.

وَكَانَتْ أَصْعَبُ أَيَّامِ الْخِدَاعِ هِيَ الأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ الأَخِيرَةَ، فَقَدْ كَانَتْ تَقْتَضِي تَحَرُّكَاتٍ مُعَيَّنَةً، فَاحْتَجْنَا إِلَىٰ دِقَّةٍ شَدِيدَةٍ فِي التَّقْدِيرِ؛ لِإِخْفَاءِ هَدَفِهَا، وَلَكِنَّهَا أَوَّلًا وَأَخِيرًا كَانَتْ رِعَايَةُ اللهِ لَنَا، الَّتِي مَكَّنَتْنَا مِنْ تَحْقِيقِ الْمُفَاجَأَةِ بِالصُّورَةِ الَّتِي تَمَّتْ بِهَا».

وَوَصَفَ «المُشِيرُ أَحْمَدُ إِسْمَاعِيلَ» تَحَرُّكَاتِ الْمَعْرَكَةِ فَقَالَ: «عِنْدَمَا انْطَلَقَتِ الشَّرَارَةُ وَبَدَأَتْ خُطَّةُ «بَدْرٍ» كَمَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعَسْكَرِيِّينَ؛ بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ يَتَحَرَّكُ وَفْقًا لِهَذِهِ الْخُطَّةِ».

أَمَّا «وَزِيرُ الْجَيْشِ الْأَمْرِيكِيِّ»؛ فَقَدْ عَلَّقَ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَرْبِ، وَنَتَائِجِهَا بِقَوْلِهِ: «إِنَّ عُبُورَ الْقُوَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ لِقَنَاةِ السُّوَيسِ فِي مُوَاجَهَةِ التَّفَوُّقِ الْجَوِّيِّ الإِسْرَائِيلِيِّ لَيُعْتَبَرُ عَلَامَةً بَارِزَةً فِي الْحُرُوبِ الْحَدِيثَةِ، وَسَوْفَ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَغَيُّرَاتٍ فِي الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ، فَإِنَّ حَرْبَ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ قَدْ فَجَّرَتْ وَبَدَّدَتْ كَثِيرًا مِنَ المَفَاهِيمِ، فَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي التَّارِيخِ الْحَدِيثِ تَتَمَكَّنُ قُوَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ اقْتِحَامِ قَنَاةِ السُّوَيْسِ دُونَ أَنْ تَفْقِدَ أَيَّةَ طَائِرَةٍ مِنْ طَائِرَاتِهَا، وَذَلِكَ فِي مُوَاجَهَةِ عُدُوٍّ يَمْتَلِكُ سِلَاحًا جَوِّيًّا مُتَفَوِّقًا».

وَأَصْدَرَ «الْمَعْهَدُ الْبِرِيطَانِيُّ لِدِرَاسَاتِ الْحَرْبِ» تَقْرِيرًا ذَكَرَ فِيه: «أَنَّ عُبُورَ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ لِقَنَاةِ السُّوَيسِ الَّذِي تَمَّ فِي السَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَر -أَيْ فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ- كَانَ يَصْعُبُ تَحْقِيقُهُ بِهَذا النَّجَاحِ؛ حَتَّىٰ لَو كَانَ الْأَمْرُ مُجَرَّدَ عَمَلِيَّةِ تَدْرِيبٍ بِدُونِ عَدُوٍّ مُوَاجِهٍ.

وَأَضَافَ الْمَعْهَدُ قَائِلًا: لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ فَعَلُوهَا، لَقَدْ دَفَعُوا بِقُوَّاتِ هُجُومِهِمْ عَبْرَ الْقَنَاةِ، وَحَقَّقُوا أَعْظَمَ النَّتَائِجِ، لَقَدِ اسْتَيْقَظَتْ رُوحُ الْقِتَالِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ لَدَىٰ الْمِصْرِيِّينَ».

وَيَقُولُ الْكَاتِبُ الْيَهُودِيُّ «آمِنُون كَابلويك» فِي كِتَابِهِ «انْتِهَاءُ الْخُرَافَةِ»: «لَمْ يَتَصَوَّرْ أَحَدٌ فِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ يُمْكِنُهُمُ الْقِيَامُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ.

يَقُولُ: وَلَا يَسَعُنَا الآنَ سِوَىٰ أَنْ نُصَابَ بِالذُّهُولِ وَالوُجُومِ؛ لِأَنَّنَا جَمِيعًا وَقَعْنَا فِي هَذَا الوَهْمِ الهَشِّ الَّذِي كَانَ بَعِيدًا كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الوَاقِعِ».

فَهَذَا مَا كَانَ بِلِسَانِ أَعْدَائِنَا فِي الْجُمْلَةِ، وَبِشَهَادَاتِهِمْ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْفَظَ هَذَا الْبَلَدَ، وَجَمِيعَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِحِفْظِهِ الْجَمِيلِ، وَأَنْ يُنَجِّيَهُ وَجَيْشَهُ الْبَاسِلَ مِنْ خِيَانَةِ الْخَائِنِينَ، وَكَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَحِقْدِ الْحَاقِدِينَ، وَائْتِمَارِ الْمُؤْتَمِرِينَ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين.(*/٢).

❀❀❀

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «طَرِيقُ الِاسْتِقْرَارِ فِي مِصْرَ» - ١ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ/ ٣٠-٥-٢٠١٤م.

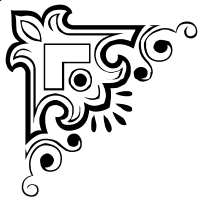

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا..... ٤

وُجُوبُ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجِهَادِ..... ٧

مَنْزِلَةُ الشَّهَادَةِ وَثَمَرَاتُهَا..... ٩

صَفْحَاتٌ مِنْ حَرْبِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ - السَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَر ٢٣